مادة المأساة . وهذا ما يهب مضمون الرواية عمقا اجتماعيا . ولعل الملاحظة هنا تجدر بالذكر : بعد حزيران تدفقت القصص عن المقاومة ، ونادرا ما كان ابطالها ينتمون الى المخيم ، بل لفئات اجتماعية وسطى ، تعبر عنها شرائح مثقفة تعاني من الضياع ، والاخلاص الذاتي المحض كذلك .* لم يعتمد بناء الرواية على الرمز . ان اشخاص الرواية وحوادثها واماكنها ، هي واقعية تماما ، اي تعبر عن حياة واقعية . وقد كان في ظن مؤلفها ان المأساة — المقاومة الفلسطينية هي بحجم المخيلة ، كما هي بحجمها الواقعي . لذلك شاء ان ينقل ادق واصغر تفاصيل الواقع ، تاركا اياها مثقلة برموزها الاولى . ترى من يحتج على الاستئذان ، والتلبيسة وليالي التحاليل السبع ، ويوم الزفة وليلة الدخلة ؟ وكذلك جبل البصة في فلسطين ؟. بقي ان المؤلف استخدم هذه العناصر استخداما شعريا . فعبر عن الواقع ليس بشأنه اليومي المجرد بل بما ينطوي عليه ويعتمل فيه من حلم . وذلك عوضا عن « خرافة الرمز » .

* على ان المؤلف وقع في الخطأ ، عندما عزل المقاومة عن امتدادها العربي . فالضيوف رغم انهم شباب ، لبثوا في مكانهم سالبين . ولم يتمكن المؤلف من دفعهم الى المشاركة في العملية الفنية . حيث تبدو عثرات «عرس فلسطين» نادرة ، وعزيزة على ذكاء الناقد المولع بالاعمال الكلاسيكية او « الطليعية » على حد سواء . مقابل ذلك تبدو عملية تلمس الايجابي في رواية « السفينة » مستعصية ، فضلا عن انها غير ضرورية وغير امينة . سيكون على القارىء — اذا شاء — ان ينتقل من مهد العريس ، الذي قضى سواد ونضارة عمره في المخيم ، ان ينتقل الى وديع عساف الذي يبحر هنيئا في سفينة جبرا ابراهيم جبرا . فمن هو وديع عساف ؟ شخص فلسطيني يقيم في الكويت . تاجر وصاحب شركة ، ثري ، في العقد الرابع من عمره . نشأ طفولته في القدس وعاش فيها مراهقته . الفى ذات يوم مشهود حجرا (قنبلة) على تجمع صهيوني مسلح . بعدها ولى وهاجر حتى الكويت .

الى اين يتجه نموذج جبرا الفلسطيني ؟ الى الموانىء الاوربية ، انطلاقا من ميناء بيروت . وما هو المحيط البشري (الاجتماعي) الذي يستمد منه وديع قوانين حياته الشخصية وعلاقاته ؟ عصام السلمان طبيب عراقي درس في اكسفورد . سليل والد اقطاعي ، وينفق ضجره في البلاد الاوروبية. لمى من نفس اسرة الطبيب العراقي . فالح عبد الرحمن طبيب اخر . عصام مهندس مثقف . كيف اجتمع شملهم مع اخرين في سفينة (ورقية ، فكلما استمر حبر جبرا كان ذلك ايذانا بغرق السفينة ، فنيا كرمز ، من ذهن ومخيلة القارىء)؟ عصام تعرف الى لمى ابان دراستهما في اكسفورد. تزوجت لمى من فالح عبد الرحمن ، وهذا تشده علاقة حب بفتاة اجنبية اسمها اميليا . وقد تعرف اليها اثناء احد المؤتمرات الطبية في بيروت ، بواسطة طبيبة لبنانية اسمها مها . ظل الحب قائما بين لمى وعصام . وهذا رغب ان يسافر من ميناء بيروت الى موانىء البحر المتوسط ، ولمى تعرف موعد سفر عصام فتحجز مكانا في ذات السفينة ، قبل ان تعرض رغبتها على زوجها الذي لا يتردد ، فيتصل هذا باميليا ، واميليا تتصل بمها ، ومها تتصل بصاحبنا وديع عساف الذي يحبها ، فيبحرون . ليس نموذج جبرا مرفوضا لمجرد انتمائه الى فئة اجتماعية ، يدها «نظيفة» من السلاح ، وليس مرفوضا ايضا لمجرد ان فالح عبد الرحمن — الذي هو عضو في جسم الرواية كما هو وديع — ينتمي الى الانتحار كخلاص فردي أسود ، وهذا ما تنتهي اليه الرواية ذاتها، بل لانه يطرح نفسه مباشرة في الرواية . فحيث الاشخاص يعدمون خصوصيتهم ، وحيث سياق حياة الابطال ليس مجموع الاحداث والتصرفات الصغيرة ذات الدلالة ، في حياتهم ، فانه لا بد من ان يملأ المؤلف افواه ابطاله بالكلام الذي في ذهنه، فيتفوهون بذلك برغبة خالقهم : يقول البطل في احدى الحوارات او المحاورات المطولة: « الموت. المجابهة . الفداء . هذا كل ما لدي ان اطرحه ». لكن هذا الطارح للفداء باستلذاذ ورخاء لا يلبث ان يكشف عن الخديعة . اذ يصرح بأخلاقية عالية انه سيهجر بناء التجارة ويزرع الكروم واشجار الصنوبر والبندورة والتفاح ، وسيحفر آبارا ارتوازية ، في المرتفع الذي اشتراه في بلدة حلحول الفلسطينية . فهل ذلك حقا ، وهل يستطيع « هذه العشرون الف دينار التي جمعتها ستكفي لان أمد لي جذرا عميقا في ارضي من جديد . فلأسرح مرة اخرى » ولا بد انه سيستمر في سرحانه ، ليس لانه انهزامي ، بل ليعود ويعمق جذره في ارضه ؟